الفصل السادس

بحثٌ حول « نعش المرأة المرتفع سقفه »

السؤال :

هل ورد عن النَّبي ﷺ أنَّه أمر بأن تكون جنازة المرأة مرتفع سقفها عندما ماتت إحدى بناته ؟ ومن هي هذه البنت ؟ ومن روى الحديث الذي قيل فيه أنَّ النَّبيَّ أمر بذلك ؟، وهل هو صحيح ؟. (١)

الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد اطَّلعت على بضعة عشر مرجعًا من كتب الحديث والتراجم والتاريخ ، ولا سيَّما كتب الأوائل أو الأوَّليَّات ، فوجدتُ بعض المؤلفات تطلق على « النعش » الذي عليه شيء مرتفع كالقبة المستطيلة كلمة « النعش » فقط ، كما في « خلاصة تهذيب الكمال » ، و« عنوان النَّجابة » و« أوائل العسكري » ، و« شفاء الأمير حسين» ، و« مجموع زيد بن علي » ، و« مسامرة الأوائل » وبعضها يقول في التعبير عن ذلك بـ « رفع النعش » أو بـ « النعش المرتفع » ، كما في كتاب « الأوائل » للجراعي ، و« الطبقات » لابن سعد ، كما عرفتُ من هذه المصادر أنَّ السبب الذي من أجله صُنعت هذه القُبَّة هي ستر حجم المرأة الميتة بحيث لا يرى الناس حجمها .

وهكذا عرفتُ أنَّ أشهر الأقوال هو القول بأنَّ التي أمرت بصنع ذلك هي السيدة أسماء بنت عميس الصحابية المشهورة التي كانت زوجة لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهاجرت معه إلى الحبشة ورجعت معه ، وبعد استشهاده في غزوة مؤتة في السنة السابعة تزوَّجت بعده أبا بكر رضي الله عنه ولما تُوفي أبو بكر رضي الله عنه تزوَّجت الإمام علي بن أبي

---

(١) السائلة حفصة بنت أحمد أحمد من صنعاء .

طالب ﷺ ، ولكن اختلفت الرِّوايات في أول امرأة عملت لها أسماء هذه القُبَّة ، والرواية المشهورة هي أنها – أي أسماء – عملت أو أمرت بعمل هذه القُبَّة على النَّعْش للسيدة فاطمة الزهراء ﷺ التي تُوفيت بعد موت رسول الله ﷺ بستة شهور أو بأقل من ستة شهور .

وهنا رواية تقول أنَّ أوَّل من عُمل على نعشها شبه الأضلاع أو قُبَّة هي أم المؤمنين زينب بنت جحش ﷺ ، وقد تأخَّر موتُها إلى أيَّام الخليفة عمر بن الخطَّاب ﷺ بعد موت السيدة فاطمة ﷺ بعدَّة أعوام ، كما في « خُلاصة تهذيب الكمال» ، و«الوسائل» للسيوطي ، و« الطبقات » لابن سعد ، و«محاضرات الأوائل» للشيخ علاء الدِّين دده ، أحد علماء تركيا في القرن الحادي عشر من الهجرة النَّبويَّة على صاحبها وآله أفضل الصلاة والسلام .

بل إنَّ هناك روايةً غريبة ، وهي أنَّ أوَّل من عمل لها هذه القبَّة هي أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ التي تُوفيت في السنة التاسعة من الهجرة في عصر النبي ﷺ كما في « مُسامرة الأوائل » للسيوطي ، نقلاً عن ابن سعد في « الطبقات » .

بل هناك رواية أغرب منها ، وهي : أنَّ أول من عُمل لها هذه القبة هي رُقيَّة بنت رسول الله ﷺ التي تُوفيت في رمضان من السنة الثانية من الهجرة ، كما في تخريج الضمدي لـ « شفاء الأمير الحسين بن محمد » منسوباً إلى الطَّبراني في « الأوسط » ، وأنَّ أسماء خاطبت النَّبي ﷺ : « أنِّي كنت بالحبشة ـ وهم نصارى أهل كتاب ـ وهم يجعلون للمرأة نعشًا فوقه أضلاع يكرهون أن يُوصف شيء من خَلْقها ، أفلا أجعل لابنتك نعشاً ـ أي على هذه الصفة ـ ؟ فقال : « **اجعليه** » فهو أول نعش في الإسلام ، وذلك لرقيَّة ابنة النَّبي ﷺ كما في « مُسامرة الأوائل » للسيوطي ، ونقله الضَّمدي في « تخريج شفاء الأمير الحسين » عن الطبراني في « معجمه الأوسط » من حديث أسماء بنت عُميس ﷺ .

ويُمكن الجمع بين روايةً من روى أنَّ من عُمِل لها هذا النعش المرتفع (أو :

الذي عليه سترة مرفوعة على أعواد) من النساء هي فاطمة الزَّهراء ﵂ ، وبعدها زينب أم المؤمنين ﵂ كما في « عُنوان النَّجابة في من مات بالمدينة المنوَّرة من الصحابة » للشيخ مصطفى العلوي الرَّافعي حيث قال : « أوَّل من غُطِّيَ نعشُها في الإسلام ـ فاطمة ـ ثم بعدها ـ زينب ـ ﵄» .

ومنهم من يقولُ أنَّ أوَّل من أمرت بوضع هذا النَّعش المُرتفع الذي يعملُه النَّاس على سرير المرأة عند حملها إلى المقبرة ، هي أم أيمن ﵂ عند قدومها من الحبشة ، وليست أسماء ، وهي رواية شاذة ذكرها السيوطي ـ رحمه الله ـ في « مُسامرة الأوائل» عن طارق بن شهاب ـ رحمه الله ـ .

وعلى كلِ حال ، فهذه الكيفيَّة التي تُعمل على نعش المرأة ، هي قديمة في الإسلام يرجعُ تاريخها إلى عصر الخلفاء الراشدين ، سواءاً كانت المُشيرة بها هي أسماء بنت عميس أو أم أيمن ﵂ أو غيرهما .

وسواءاً كانت فاطمة الزهراء ﵂ هي أول من عُمل لها هذا النَّعش المرفوع سقفه ، أم هي زينب بنت جحش أم المؤمنين ﵂ ، وأمَّا إنَّها عُملت لأم كلثوم بنت النَّبي ﷺ التي توفيت في السنة التَّاسعة ، أو لرقيَّة بنت النَّبي ﷺ التي كانت قد توفيت في رمضان من السنة الثانية ، وأنَّ النَّبي أقرَّ أسماء بنت عميس أو أمرها بذلك العمل بعدما أشارت عليه به ، فيحتاج الباحثُ إلى تصحيح الروايتين ، ولا أظنُّ هاتين الروايتين صحيحتين .

ولو فرضنا أنهما صحيحتان ، لكانت هذه الكيفيَّة من السنَّة النَّبويَّة ؛ لأنها ستكون من قسم أقوال النَّبي ﷺ حيث أمرها بذلك العمل بقوله : « **اجعليه** » في الحديث الذي حكى هذا الفعل عن أسماء ﵂ عند موت رقيَّة ﵂ أو من قسم التَّقرير ، كما في الحديث الذي حكى هذا الفعل عن أسماء ﵂ في موت أم كلثوم ﵂ ، ولكن هيهات أن يصح هذان الحديثان ، ولا سيَّما الحديث الذي حكت فيه أسماء ﵂ أنَّها عملته عند موت رقيَّة ﵂ ، فهو لا يصح من الناحية التاريخيَّة قبل

الناحية الحديثيَّة ، وذلك لكون أسماء بنت عميس ﵂ عند موت رقيَّة في رمضان من السنة الثانية من الهجرة ، كانت في أرض الحبشة ، حيث كانت قد هاجرت مع زوجها جعفر بن أبي طالب قبل الهجرة إلى المدينة المنوَّرة بعدَّة أعوام ، كما لا يخفى على من له اطِّلاع على كتب السِّير والتَّاريخ .

وأيضًا لم يكن النَّبيُّ ﷺ عند موت ابنته رقيَّة ﵂ ودفنها في المدينة موجودًا في المدينة ، بل كان ﷺ يومئذ في بدر الكُبرى ، وقد كان وصول رسول رسول الله ﷺ المدينة مُبشِّرًا بانتصار النَّبي والمسلمين على كُفَّار قريش عقيب دفن عثمان ﵁ ومن حضر معه جثمان زوجته رقيَّة ﵂ في مقبرة البقيع .

أي أنَّ حديث أمر النَّبي أسماء بنت عميس بأن تعمل على جنازة ابنته رقيَّة نعشًا مُسنَّمًا حسب رأيها سترًا لها من أن يظهر حجم جسدها لا يصح لأمرين :

الأول : أنَّ أسماء بنت عُميس ﵂ كانت في تاريخ موت رقية ﵂ في بلاد الحبشة ، وموت رقيَّة ﵂ كان في المدينة سنة اثنين من الهجرة .

الثاني : هو أنَّ النَّبي ﷺ لم يكن حال وفاة رقيَّة ﵂ في المدينة ، بل كان في بدر ؛ لأنها ماتت وهو غائب عنها في بدر ، ودُفنت قبل رجوعه من بدر .

والخلاصة لما جاء فى كلامى هذا ينحصر فيما يلى :

[١] القُبَّة المُستطيلة التي تُوضع فوق جنازة المرأة تُسمَّى النَّعش المُرتفع .

[٢] أوَّل من أمر بصنع هذه القبَّة على القول المشهور أسماء بنت عميس ، وقيل إنَّها أم أيمن رضي الله عن الجميع .

[٣] كانت أول امرأة حُملت على نعش هي فاطمة الزهراء على القول المشهور ، وقيل إنها زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عن الجميع .

[٤] قد أحسن من جمع بين القولين ، فقال : إنَّ أوَّل من حُملت على هذا النَّعش فاطمة أيَّام أبي بكر ، ثم زينب أيام عمر ﵃ أجمعين .

[٥] ما روي أنَّ أول من حُملت على مثل هذا النعش المرتفع سقفه هي أم كُلثوم بنت النبي ﷺ يحتاج إلى تصحيح روايته .

[٦] ما رُوي أنَّ أوَّل مَن حُملت عليه هي رقيَّة بنت النَّبي ﷺ غير صحيح ؛ لكون أسماء كانت في الحبشة يوم موت رقيَّة ، ولكون النَّبي كان في بدر لا في المدينة .

والله وليُّ الهداية والتَّوفيق ، وسبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم .

من المصادر التى استفدت منها فى هذا البحث :

« مجموع زيد بن علي » ، « شفاء الأمير الحسين » ، « تخريج الضمدي أحاديث الشِّفاء » ، « عنوان النَّجابة » للرافعي ، « خلاصة تهذيب الكمال » لابن حجر ، « الأوائل » للعسكري، « مُسامرة الأوائل » للسيوطي ، « محاضرة الأوائل » للشيخ عثمان علاء الدين ، « الأوائل » للطبراني ، « الأوائل » للجراعي ، « الروض النَّضير » للسياغي ، « إنسان العيون » للحلبي ، « الطبقات » لابن سعد .